

# أسلوب المديح عند المحامي آدم عثمان: دراسة وصفية

د. أبوبكر، كبير أمين

عضو هيئة التدريس، قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا - نيجيريا

[kaabubakar@abu.edu.ng](mailto:kaabubakar@abu.edu.ng)

+234 806 221 6364

## الخلاصة

هذه الدراسة محاولة لوصف مميزات أسلوب المحامي آدم عثمان في شعر المديح، ونمط تفكيره، وكيفية تركيزه للأفكار، ونظرته إلى الأشياء وتفسيره لها، وطبيعة انفعالاته، وذاتيته في شعر المديح. فقد تناول الباحث ما يقارب عشرين قصيدة من أعمال الشاعر في المديح بالدراسة، واستخلص إلى أن الشاعر يتمتع بأسلوب يتميز بالسهولة في التعبير والرقّة في الترتيب، وجودة السبك. ويولّد معاني المديح من مناسبات القصائد ومن الفضائل الإسلامية. ويكثر من استعمال المصطلحات الصوفية، كما ينجح إلى مدح المكان الذي يُقيم فيه الممدوح.

## مفهوم الأسلوب

كل فرد يملك عالماً من المعاني والأخيلة، وطريقة الصياغة والتعبير، ونمط التفكير والتنسيق. وهذا ما يسمى في العالم الأدبي بالأسلوب. ويمكن أن يعرف الأسلوب بأنه هو الطريقة التي يتخذها الأديب في تنظيم أفكاره وتنسيق كلامه مما يميزه عن غيره. فالأسلوب عنصر أساسي في الأعمال الأدبية، وهو مرآة تُعكّس نمط التفكير عند الفنان، وإحساساته وانفعالاته، وتكشف شخصيته. كما يُظهر طبيعة الظروف المحيطة به كالبينة والتجربة والثقافة (سليمان، ٢٠٠٨: ٣٨-٤٣). فالأسلوب صورة خاصة لصاحبه، تبين طريقة تفكيره، وكيفية نظرته إلى الأشياء وتفسيره لها، وطبيعة انفعالاته.

فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب. ويبين الأسلوب الأفكار الكائنة في عقل صاحبه، كما يعبر عن المثيرات التي تحرك فكره.

فبالأسلوب - على هذا الأساس - أداة تبرز بالضرورة، الانفعالات والأحاسيس والعواطف الإنسانية، وتبين فكر منشئه (سليمان، ٢٠٠٨: ١٢). ومن هذا المنطلق يمكن أن يتخذ الأسلوب معياراً يفصل بين إنتاجات أديب وإنتاجات أديب آخر، أو إنتاجات عصر وعصر آخر، أو مدرسة أدبية وأخرى، وهكذا. ولذلك اعتبر النقاد الأسلوب بمثابة لوحة كاشفة لمخبات شخصية الإنسان ما ظهر منها في الخطاب وما بطن، ما صُرح وما ضُمن.

وفي الجملة، إن الأسلوب عنصر هام في الدراسات الفنية، يساعد الدارس علي فهم طبيعة الفنان ومزاجه وسائر الظروف المحيطة به، وتمييز أعماله عن غيرها.

### مفهوم المديح

يمكن أن يُعرّف المديح بأنه: "هو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفيسة كرجاحة العقل والعدل والعفة والشجاعة" (الإسكندري وأمين، ١٩١٦: ٤٨). فهو بذلك نوع من الشعر يقوم على تعداد المحاسن. ومن الظاهر أن المديح كان ظاهرة فطرية في الإنسان، (الرافعي، ٢٠٠٧: ٨٤). وأنه كان نوعاً شائعاً في آداب جميع الأمم منذ زمن الإنسان البدائي (زاريّا، ٢٠٠٤: ١٢٧). وكان يُعدُّ في الشعر العربي التقليدي من أهم الأغراض منذ الجاهلية إلى العصر الراهن (صالح، ٢٠٠٦: ١٣).

ويحتمل أن يكون المديح جزءاً من الفخر أو متفرعاً عنه كما يرى ابن جعفر (٢٠٠٦: ٨٩)، لأن الفخر مدح النفس، وكان متقدماً على المديح بالنسبة إلى

العرب. فقد كان مديحهم قبل أن تضعف أعصاب البداوة كله فخرا، ولما وهنت أعصاب البداوة، ومس العرب الترف، وجعلوا يبتغون المنالة، حوّلوا شيئا من فخرهم إلى المديح (الرافعي، ٢٠٠٧: ٨٤-٨٦).

والدراس لتراث الأدب النيجيري باللغة العربية يدرك ضرورة أن المديح عندهم قد تشكّل بشكل تقليدي (زاريا، ٢٠٠٤: ١٢٨). وذلك لأن الشعراء العلماء قد قرؤوا دواوين الشعراء القدامى وحاولوا تقليدهم ومحاكاة أسلوبهم، إلا أنهم لم يكونوا متكسّبين ولا محترفين، خلافا لبعض الشعراء من العرب القدامى الذين اشتهروا بالتكسب بالشعر، والذين كانت إنتاجهم متوفرة في بلاد نيجيريا، ونموذجا لشعرائها.

ومن المتعارف أن فن المديح بات من أشهر فنون الشعر العربي التي طرق بابها كثيرٌ من الشعراء منذ تطور الأدب العربي النيجيري (محمد، ٢٠٠١: ٥١)، بل صار من الأغراض الأساسية في الشعر العربي النيجيري، يستعمله الشعراء للإشادة بدور شيوخهم وعلمائهم الإيجابي في تطوير عجلة الثقافة العربية والإسلامية. فينظم أولئك الشعراء على نهج شعراء العصر الجاهلي و صدر الإسلام، كزهير، الذي لا يمدح أحدا إلا لأجل ما يتصف به من الخصال الحميدة (الجمحي، ١٩٨٠: ٢٩).

وقد نظم المحامي آدم عثمان قصائد متعددة في أغراض مختلفة، وأدرك الباحث من خلال دراسة أعماله الأدبية، أن فن المديح يُمثّل غرضا هاماً وبارزاً من أغراض شعر هذا المحامي. وأنه يمكن ان يعدّ من بين الشعراء العلماء الذين ساهموا في تكوين مادة شعر المديح في هذه البلاد. فقد ساهم-هو الآخر-بنصيب وافر من القصائد التي نظمها في فن المديح، والتي مدح بها شيوخه وغيرهم من السادات وأصحاب الجاه وغيرهم ممن استحق أن يمدح لسبب أو آخر حسب رأي الشاعر.

## بطاقة تعريف للشاعر المحامي آدم عثمان

ولد الشاعر المحامي آدم عثمان سنة ١٩٥٧م في قرية قريبة من مدينة غُمِّي Gombe تدعى بُولُ جَنْغِرَاوُو Bula Jangirawo. وعاش الشاعر المحامي آدم عثمان بين نخبة من العلماء آباء وأجدادا، وترعرع في أسرة دينية وعلمية خالصة. فدرس عند أبيه علوما جمّة، فهو الذي علّمه القرآن ومبادئ الفقه المالكي واللغة من خلال الكتب المتداولة في أيدي العلماء في ذلك الحين والمكان (الثالث، ١٩٩٨ : ٥).

وكان من حسن حظ الشاعر المحامي آدم عثمان أن نشأ في بيئة علمية ودينية، تُقدّر العلم والدين. فقد أتاح له ذلك فرصة لبدأ طلبه للعلم مبكرا، ومنذ أن كان يافعا. فبعد أن تعلم عند أبيه أساسيات الفنون الإسلامية كالقرآن ومبادئ الفقه المالكي، أخذ الشاعر يتعلم ويدرس عند نخبة من العلماء علوم الفقه حتى حصل منه على نصيب وافر. فقد درس مذهب المالكية بعمق وأتقن فنونه عند أبيه وغيره من العلماء الذين عاصروهم ولقيهم في غُمِّي وما جاورها من القرى والمدن.

ثم أرسله والده إلى مدينة كَانُوَا Kano سنة ١٩٧٠م، ليواصل سيره في تحصيل العلم والثقافة الإسلامية. ف قضى في كَانُوَا نحو عقد من الزمن، تلقى خلاله علوما كثيرة من مجالس علمائها المختلفين ومعاهدهم. فقد درس عامة كتب فقه المذهب المالكي المقررة في المعاهد التقليدية وكتب اللغة والنحو وغير ذلك، كما درس دواوين الشعراء القدامى.

وكان الشاعر المحامي آدم عثمان مشتاقا إلى الدراسة النظامية والتربية الغربية التي بدأت تشق ضوء شعلتها في ذلك الحين. فحمله ذلك على تسجيل نفسه في مدرسة مسائية ابتدائية لمحو الأمية لما كان في كَانُوَا، واسم المدرسة مَطَايِي Madate وذلك سنة

١٩٧٢م. ومكث في هذه المدرسة أربع سنوات، وتعلم خلالها مبادئ القراءة بلغتي الإنجليزية والهوسا Hausa والحساب (المنصور، ٢٠٠٨: ٢٦). ثم التحق بمدرسة العلوم العربية School for Arabic Studies المشهورة بكائنا ونهل من فياض علومها وتخرج فيها سنة ١٩٧٨م.

وفي سنة ١٩٨٠م وجد الشاعر المحامي آدم عثمان قبولاً في جامعة عثمان بن فودي صُكُتُو Sokoto، وابتدأ دراسته الإعدادية. ثم تخصص في الحقوق والشريعة وتخرج في الجامعة سنة ١٩٨٦م.

ثم سافر إلى مدينة لاجوس Lagos حيث مدرسة نيجيريا للحقوق Nigerian Law School، وسجل ليصبح محامياً ويكتسب عضويته في منظمة المحامين النيجيرية Nigerian Bar Association وذلك سنة ١٩٨٧م.

ومن ثم رجع إلى بَوْتَشِي Bauchi وواصل عمله مع وزارة العدل التي كان من موظفيها منذ ١٩٨٥م. وقد عمل مع الوزارة لمدة عشر سنين تنقل خلالها بين المحاكم الحكومية والمناصب، حتى انتهى إلى محكمة الشريعة الاستئنافية Shari'a Court of Appeal حيث عمل كنائب المسجل العالي.

ولما استقال عن الوظيفة أسس غرفة المحاماة وسماها Miyatti Allah Chambers في شارع رَنَ Ran Road بمدينة بَوْتَشِي. ولا يزال يرأس هذه الغرفة التي تضم طائفة من المحامين الممارسين.

ومع عودة الديمقراطية في سنة ١٩٩٩م خاض الأديب الشاعر المحامي آدم عثمان في الحركات السياسية، حيث ترشح ليُنتخب كُمُمَثِّل في بَرَلِمَان ولاية عُمِي ونجح ليس فقط في الحصول على مقعد النيابة، بل نجح أيضاً في الحصول على

منصب رئيس المجلس لمدة ما بين ١٩٩٩م إلى ٢٠٠٣م. وتمّ تعيينه بعد ذلك رئيساً لحكومة أكُو Akko المحلية على سبيل الوكالة قبل أن يتمّ الانتخاب. وعاد إلى غرفة Miyatti Allah Chambers بعد ذلك ليستمر في ممارسة صناعة المحاماة، والتي لا يزال يمارسها إلى جانب الزراعة (المنصور، ٢٠٠٧: ٢٩-٣٠).

وتزوج الرجل مبكراً في سنة ١٩٨٢م. ثم تزوّج زوجة ثانية سنة ١٩٩٣م. وله إلى الآن ستة أولاد.

ومن هذه التفاصيل يظهر للباحث أن الشاعر اكتسب ثقافة واسعة متعددة الأطراف، إذ اكتسب الثقافة الإسلامية في بداية جولته في هذه الحياة، وثنى بالثقافة الغربية إلى جانب الثقافة التي اكتسبها في صناعة المحاماة وفي الحركات السياسية التي خاضها. وكان إلى جانب كل ذلك، محباً للقراءة ومولعاً بالمطالعة، كما كان مغرماً بكتب الأدب الإنجليزي والروايات والصحف التي كان يقرأها دوماً. وكان يتابع الحركات السياسية الدولية والأزمات العصرية، والصراع بين الثقافات وسائر القضايا الدولية عن طريق قراءة المجلات المستوردة ومشاهدة شاشات القنوات الفضائية الدولية. كما سافر إلى عديد من الدول في أوربًا أيام أن كان رئيساً على برلمان ولاية عُمِّي الجديدة ومكّنه كل ذلك ثقافة واسعة ومزدوجة، كما أكسبه تجربة عميقة في الحياة وأطرافها المتعددة. وظهرت آثار هذه التجربات في إنتاجاته الأدبية واضحة وجليّة.

### دراسة وصفية لأسلوب المديح عند المحامي آدم عثمان

كان أسلوب المحامي آدم عثمان في المديح يتميز بالسهولة في التعبير والرقّة في الترتيب. فهو يعبر عن نفسه بعبارات في غاية السهولة مع جودة السبك. وهذا ليس

غريبا إذ قد يكون الشعر جيدا وكلماته في منتهى السهولة، وهو كذلك خال من أنواع البديع (أمين، ١٩٧٢: ٦٧).

وقد كان المحامي آدم عثمان يتفنن في استعمال اللغة، إذ يكتب باللغة العربية الفصحى. ولكنه يُدخِل في لغته أحيانا كلمات ليست من أصل عربي، فيعربها، ويراعي تجانسها مع الموقف. فحين مدح شيخه الشيخ طاهر عثمان بَوْتَشِي في قصيدة همزية من البحر الكامل في ثلاثة وستين بيتا سماها "ترحيب الشيخ طاهر عثمان بَوْتَشِي لرجوعه بعد الفراغ من تفسير القرآن". قال (١٩٨٠م):

### ولِذَا تَكَادَنَّ وَسَطَ وَفَدِ جَامِعِ      بَيْنَ الْفَقِيهِ وَزِمْرَةِ الْحَفَظَاءِ

فكلمة "تَكَادَنَّ" هنا فعل بمعنى استوطن كَادُونًا كما يقال تمصَّر أو تشَام، إذا دخل مصر أو الشام. فانظر كيف تمكَّن ليس من وضع الكلمة في شعره فقط، بل في إعطائها صفة من صفات الكلمات العربية وهي الاشتقاق وقبول الزيادة الصرفية. وقال في موضع آخر يمدح الشيخ نفسه في قصيدة دالية من البحر البسيط، وعدد أبياتها خمسة وثلاثون بيتا. نظمها الشاعر بعنوان "ترحيب فضيلة الشيخ طاهر عثمان بَوْتَشِي لرجوعه من تفسير القرآن لمناسبة شهر رمضان المبارك المنعقد في كَادُونًا". قال فيها (١٩٩٠م):

### تَاجُ الْفُؤَادِ لِكُؤَيِّينَ صُنْتُ لَكُمْ      عَهْدًا وَكَانَتْ قَلَامِي ضَمْنِ إِشْهَادِي

فكلمة "كُؤَيِّينَ" نسبة إلى كُؤِي Kobi وهي حلة في مدينة بَوْتَشِي معروفة، وكان الشيخ يسكن بها. فاستطاع أن ينسب إليها ويجعلها متناسقة بمحلها من البيت ويكسيها ثوب الإعراب، فيجرها بالإضافة، وعلامة الجر الياء باعتبارها جمع مذكر سالم!.

وقد لاحظ الباحث أن من مميزات فن المديح عند المحامي آدم عثمان توليد معاني المديح من مناسبات القصائد. فإنه إذا أراد أن يمدح أحدا خلق من المناسبة معنى يمدحه بها. فقد كتب قصيدة على سبيل المثال ليذم بها الهندي سلمان رشدي بمناسبة كتابه "آيات الشيطان" الذي نال فيه رشدي من كرامة الرسول صلى الله عليه وسلم، فبدأها الشاعر بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يجنح إلى غرضه الأساسي للقصيدة. فبدأها بقوله (١٩٩٠م):

**بنوا هاشم نالوا ذرى المجد والهدى بيمن الذي قدماً يسمى محمدا**

وطفق يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأزواجه قبل الخوض في ذم رشدي. وكأنه بذلك يشير إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا تنفك فضائله وكراماته عنه مهما حاول شيطان أو زنديق أن ينال منها. ولم يلتفت إلى سلمان رشدي إلا بعد أكثر من عشرة بيتا، وذلك يمثل ربع القصيدة تقريبا، فبدأ الهجاء بقوله (١٩٩٠م):

**ألا! إن سلمان بن رشدي قد ارتدى زيول العدى ضد الرسول محمدا**

وانتهى منه بقوله قبل بيتين من نهاية القصيدة:

**فليتك يا سلمان لو كنت جاهلا وليتك ما سببت قط محمدا**

**مسيلمة الكذاب يكفيك عبرة لقد لاق حتفا حين كذب أحمدا**

وهكذا فعل حين ذم من سماهم بـ "شبان البراذي" Brothers ونصحهم ليكفوا عن سب الصحابة والعلماء. فبدأ القصيدة بعد الحمد لله والثناء عليه بذكر فضائل الصحابة، وكرامة العلماء وفضلهم، قبل أن ينطلق إلى هجاء "شبان البراذي". ومن هذا القبيل مدحه لرئيس نيجيريا السابق اللواء إبراهيم بابنغيدا Babangida في ثنايا هجائه للذي

ترأس محاولة انقلاب فاشلة ضد السابق، وهو الضابط غديون أوركر Col. Gideon Orkar فقد مدح المحامي اللواء بابنغدا في القصيدة مشيرا إلى أنه لا يزال محترما رغم التهم التي وجهها الانقلابيون ضده. والقصيدة تائية من البحر الوافر تحتوي على ثلاثة ومائة بيتا. يقول في القصيدة (١٩٩٠م):

إذا اجتمع الرجال لسوف تدري أعزهم ليوم الواجهات

وإبراهيم كان أعز قدرا وإذ أنتم صغار راضعات

وإبراهيم كان أعزّ قدما وإذ أنتم كلاب نابحات

وآتاه الإله بحكم شعب وأعدل في المسائل مبهمات

وهكذا تجده يولد معاني المديح بشكل يوحي إلى ما يقوله لسان حاله بأن ممدوحه صاحب فضل لا يشطبه ما قال فيه من قال.

وأحيانا يتطرق إلى مدح المكان الذي يُقيم فيه الممدوح كما، فعل في مديحه للحاج باب ليمن Alhaji Usman Baba Liman في قصيدة نونية من البحر الكامل، تحتوي على ثلاثة وثلاثين بيتا، وسماها "كلمة الشكر لهبة الكتاب للقاضي الحاج عثمان باب ليمن" حيث بدأ يمدح مدينة غُمِّي أبا Gombe Abba؛ مسكن الممدوح. فقال (١٩٩٠م):

تلك الحدائق والجنان علمتها في غُمِّي أبا مدينة العرفان

قد زارها بحر يموج بمائه يأتي بكل نعائم الحيتان

أم المدائن ماذوا عمرانها تنمو بكل دقيقة و ثوان

تلك المدينة أصل كل فضيلة والأهل منها جُرُثم الإحسان

وهكذا جعل يمدح مدينة عُمِّي أَبًا وأهلها قبل أن يصل إلى هدفه الأساسي  
من القصيدة.

وكان الشاعر المحامي آدم عثمان يُولد كذلك المعاني في مديحه من اسم الممدوح  
وصناعته ومن حرفته. فحين نظم قصيدة همزية من البحر الكامل في ثلاثة وستين بيتا  
بعنوان "ترحيب الشيخ طاهر عثمان بَوْتَشِي لرجوعه بعد الفراغ من تفسير القرآن".  
مدح شيخه الشيخ طاهر عثمان بَوْتَشِي فيها بقوله (١٩٨٩م):

شيخ الشيوخ وكان شيخي طاهرا      اسما وفعلا مورد الحكماء

فاسم الشيخ "طاهر" وهو يقول إن شيخه طاهر اسما وفعلا، أي اسمه طاهر  
وفعله طاهر كذلك.

وكان إذا مدح عالما وصفه بالعمل بالقرآن وإنشاد العلم والعفة فيقول في شيخه  
إنه عالم وتقي وزاهد وعامل بالكتاب والسنة... وهكذا. ومثال ذلك قوله وهو يمدح  
الشيخ طاهر عثمان بوتشي (١٩٨٩م):

لقد ارتدى ثوب التقى وكرامة      قد كان سيد حشدة الكرماء

زينت قلبك بالكتاب وحنانه      سنن الرسول وحكمة العلماء

وقال فيه أيضا في قصيدة ميمية من البحر البسيط، وعدد أبياتها مائة.  
(١٩٩١م):

وصوب علمك أروانا وطهرنا      ومن يطهر وهو الطاهر السلم

إني أجالس أهل العلم و الهمم      لعل من فضلهم تعلوا بي الهمم

وإذا مدح قاضيا وصفه بالعدل، كما قال في القاضي بَابَ لِيَمَنُ (١٩٩٠م):

وبمقتضى وحي الإله لقد قضى      هو عادل من فوده الفينان

ومثال ذلك ما ورد في "قصيدة التهئة لمناسبة تولية منصب القضاء" وهي يائية من البحر الطويل في ثلاثة وعشرين بيتا، نظمها ليهنئ زميله في وزارة العدل؛ القاضي يحيى بن أحمد حين ولي القضاء في إحدى المحاكم الشرعية. فمدحه الشاعر فيها بقوله (١٩٨٩م):

لقد شهد الأقبام أنك عادل      وعدلك قد أنبى السيوف العواليا

لقد ارتديت العدل والكل عارف      رداء التقى خير وإن كان باليا

وكان يُولد المعاني أيضا من الفضائل الإسلامية مستندا إلى الكتاب والسنة في ذلك. فحين نظم داليتته التي هجا بها سلمان رشدي بموجب كتابه آيات الشيطان، مدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (١٩٨٩م):

وأكرمه المولى بوحى مفصل      إلى الخلق طرا مرسلا ثم مرشدا

ليخرج من ظلم إلى النور أمة      إذا آمنت تحظى شفاعته غدا

وصلى عليه الله والآي أرشدت      ملائكة صلت عليه تعبدا

وكان حبيب الله قد كان أسوة      لمن كان يرجوا الله دارا مؤبدا

وهكذا فعل في رائيته الموجهة إلى لجان الذكر التي قدمت زائرة شيخه الشيخ طاهر عثمان بَوْتَشِي في مدينة بَوْتَشِي وهي من البحر الطويل، تحتوي على واحد وخمسين بيتا. ويقول فيها المحامي (١٩٩٢م):

ويجمعهم حب الإله وذكره      فإنهم أهل التقى نعم بالزمر

ولا يلهمهم بيع كذاك تجارة      إذا ما دعوا للذكر قاموا إلى السحر

فما يكاد المرء يقرأ هذه الأبيات حتى يتذكر عديدا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي أخذ منها الشاعر هذه المعاني. كقوله تعالى في سورة الأحزاب

"إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيتها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً".  
وقوله في سورة النور "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر وإقام الصلاة يخافون يوماً  
تتقلب فيه القلوب والأبصار" ونظائرها.

ومن مميزات أسلوب الشاعر المحامي آدم عثمان في شعر المديح افتتاحه القصائد  
بما يناسب غرضه منها، كقوله (١٩٩٠م):

**بالحمد والشكر كل الخير تكتسب بالذكر والفكر عند الله نقترب**

وذلك في مطلع قصيدة بائية من البحر البسيط نظمها بمناسبة زيارة قام بها  
الشيخ علي بن سيبي Sisi السنغالي إلى بَوْتَشِي. فبدأها بالإشادة لشأن الذكر إشعاراً  
إلى انتماء الممدوح إلى التصوف.

وقوله (١٩٩١م):

**حمدت الله من جعل المقاما مصلى من أتى البيت الحراما**

وذلك في بداية قصيدة في ميمية من البحر الوافر تحتوي على أربعة وأربعين بيتاً،  
نظمها لتوديع الشيخ طاهر عثمان بَوْتَشِي الذي ينوي السفر إلى الحج. فبدأها بذكر  
الحج.

ونظير هذا قوله في مطلع القصيدة التي نظمها فور قدوم الشيخ عائداً من الحج

(١٩٩١م):

**هو الرحمن من فرض الذهابا إلى البيت الذي أضحى مثابا**

ومثال آخر قوله في مطلع "كلمة الشكر لإدارة شئون الحج لولاية بَوْتَشِي"

(١٩٩٢م). وهي ميمية من البحر البسيط تحتوي على ثلاثة وثلاثين بيتاً، نظمها



للعام ١٤١٢هـ" وهي نونية من البحر الكامل تحتوي على ستة وأربعين بيتا.  
(١٩٩٢م):

ولقد سبقت إلى المكارم والعلی  
وإذ الجموع تجمّعت وتكاثرت  
والله قد أعطاك فضلا باهرا  
والله فضلك الجميع وفقتهم  
لم لا ترد الخصم أنت لسین  
أنت الخطيب وإن أجزت تبین  
يعلو ويرغم بالعدى ويهین  
أنت اللئالي إن غيرك طین

وفي "قصيدة تهنئة السيد الفاضل يحيى بن أحمد لمناسبة تنصيبه قاضي قضاة ولاية بَوْتَشِي" وهي دالية من البحر البسيط، وعدد أبياتها ثمان وثلاثين بيتا، يقول مادحا القاضي يحيى بن أحمد (د. ت):

ألست أعدهم حلما وأحسنهم  
ألست أتقاهم قلبا وألينهم  
خلقنا وأعلمهم منهاج إرشاد  
جنبا ومن خير أهل الله زهاد  
ألست أوفرهم صبرا و أحكمهم  
قولا وأسوة أهل الله سجاد

وقد كان يلتقط معاني المديح أيضا من شرف الآباء، فيمدح الرجل بآبائه، ويكون في ذلك مخالفا لنظرية ابن جعفر في المديح (٢٠٠٦: ٩٦) التي تعيب المديح إذا كان بشرف الآباء. فقد نظم "قصيدة توديع فضيلة الشيخ طاهر عثمان بَوْتَشِي لسفره إلى الحج" وهي بائية من البحر الكامل، ومدح شيخه الشيخ طاهر عثمان بَوْتَشِي فيها بقوله (١٩٩٠م):

عثمان أصلك إن أصلك طيب  
إن الرياض نباتها لرطيب

وقال فيه أيضا في قصيدة عينية من البحر الكامل، تحتوي علي ثلاثة وسبعين بيتا. نظمها ليرحب بشيخه حين عاد من الحج (١٩٩٠م):

وطلعت من أصل عزيز عزه  
من أم فضل كل فضل ترضع  
أفلا ترى الأشجار إن تك أرضها  
خصبا جناها دائما لا يقطع  
عثمان مثل سمّيه في حفظه  
وسخائه هو في الرجال الأشجع

ومن الملاحظ هنا أن الشاعر المحامي آدم عثمان يستغل معرفته بتاريخ الإسلام فيخلق من الأحداث والحقائق التاريخية معاني للمديح أو غيره. وهذا ظاهر من تشبيهه عثمان والد شيخه بالخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه في الحفظ والسخاء. وكما فعل من وصفه للحساد ضد شيخه، الذين شبههم بمسيلمة الكذاب، وذلك في "قصيدة ترحيب فضيلة الشيخ طاهر عثمان بؤتشي لقدمه من كادونا عقب اختتام جلسة تفسير القرآن الكريم لمناسبة شهر رمضان المبارك للعام ١٤١٢هـ" وهي ميمية من البحر الكامل، تحتوي على ستة وثلاثين بيتا، فقال (١٩٩٢م):

ما يبتغي الحساد منك فإنهم  
يئسوا كما يئس الكذوب مسيلما

كما كان يكثر من ذم خصوم ممدوحه، فقلما يمدح رجلا إلا ويهجوا خصوم ذلك الممدوح. فقد كان كثيرا ما إذا مدح شيخه هجا شيوخ الطوائف الدينية الأخرى والتي بدورها تتشاجر أو تخالف شيخه في العقيدة أو المنهج أو غير ذلك. ومثال ذلك قوله في ثنایا مدح الشيخ طاهر عثمان من قصيدة نظمها بمناسبة ترحيب الشيخ لرجوعه من كادونا بعد اختتام تفسير القرآن لرمضان سنة ١٤١٢هـ. فقال (١٩٩٢م):

وأقمت حدا بالإزالة قاسطا  
رُجمت وبادت والحنيفة دين

إن يحسدوك فإن حسبك ربنا  
ربي برد الحاسيدين قمين

لعن الحسود فإن حاسد نعمة  
تنمو فيشقى وهو بعد حزين

عضوا الأصابع إن رأوك وكلهم  
جم الضحايا منكر وضغين

وأما بالنسبة إلى الشكل فمن الواضح أن الشاعر محافظ، وكان يستخدم الأوزان الخليلية التقليدية، فيكثر من استخدام البحور السائدة في الشعر العربي القديم كالبحر الكامل والطويل والبسيط والوافر وغيرها من الأوزان دون أي تغيير في أشكالها وقواعدها المعروفة كما هو ظاهر من قصائده. كما كان يستخدم أسلوب التصريح في مطالع قصائده حيث يجعل حرف الروي مطابقاً للحرف الأخير في صدر البيت الأول (القيرواني، ٢٠٠٤: ١٥٦). وكل هذه من المميزات التي توحى بأنه محافظ وتقليدي في شكل أعماله الأدبية، وهذا مع أنه قد اكتسب من الثقافة الحديثة حظاً وافراً. ولعل هذا يرجع إلى كونه قد تنحل من الأدب العربي القديم الشيء الكثير في بداية جولته العلمية، وقبل اتصاله بالثقافة الغربية كما مر في ترجمته. أو يكون راجعاً- في أقل تقدير- إلى الوضع الذي يعيشه الشاعر في مجتمع لا يزال يكره التجدد في كل شيء تقريباً، فمن الطبيعي أن تجد أفراد مجتمع كهذا يحاولون الابتعاد عن الجديد الذي قد يسبب لهم الهم من الناس.

ومن مصادر معانيه في شعر المديح النزعة الصوفية التي ينتمي إليها الشعارويدين بها ويعرفها حق المعرفة. فقد تجده يقول في شيخه الشيخ طاهر عثمان بَوْتَشِي وذلك في همزية من البحر الكامل في ثلاثة وستين بيتاً نظمها ليرحب بشيخه القادم من كدونا بعد الفراغ من تفسير القرآن بمناسبة شهر رمضان. وقال (١٩٨٩م):

**وسريت كلك في الكتاب ولا أرى غير الكتاب وذاك كل فناء**

ومثال آخر ما في البائية التي سماها "قصيدة توديع فضيلة الشيخ طاهر عثمان بَوْتَشِي لسفره إلى الحج" وهي من البحر الكامل، تحتوي على ستة وأربعين بيتاً. فقد قال فيها (١٩٩٠):

كُشِفَ النِقَابُ لَنَا بِأَنَّكَ عَازِمٌ نَحْوَ الْعَتِيقِ وَأَنْتَ فِيهِ رَهِيْبٌ

وهكذا فعل لما نظم قصيدة عينية من البحر الكامل في ثلاثة وسبعين بيتا ليرحب بالشيخ طاهر عثمان بوتشي حين قدم من الحج. فقال في ثناياها (١٩٩٠م):

وَاللّٰهُ أَعْطَاكَ الْمَفَاتِحَ هَرَوَلُوا يَفْتَحُ لَكُمْ، وَهُوَ الْمَمْرُ الْأَوْسَعُ

فالفناء والكشف والفتح من المصطلحات المعروفة عند الصوفية.

#### الخاتمة

ولعل فيما مر من الحديث ما يعطي ضوءاً لا بأس به حول أسلوب الشاعر المحامي آدم عثمان في مديحه. حيث يظهر للباحث أن الشاعر كان يسلك في شعر المديح أسلوباً يحافظ عليه في أغلب إنتاجاته. وأن من أبرز ما يتمتع به أسلوبه السهولة في التعبير والرقّة في الترتيب، وجودة السبك. ويولّد معاني المديح من مناسبات القصائد ومن الفضائل الإسلامية. ويكثر من استعمال المصطلحات الصوفية، كما ينجح إلى مدح المكان الذي يُقيم فيه الممدوح. وأنه كان محافظاً بالنسبة إلى الشكل واللغة.

#### قائمة المراجع

ابن جعفر، قدامة، (٢٠٠٦م)، نقد الشعر، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة

الإسكندري، الشيخ أحمد، وأمين، مصطفى، (١٩١٦م)، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف، القاهرة

أمين، أحمد، (١٩٧٢م)، النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

الثالث، يعقوب محمد، (١٩٩٨م)، ظاهرة جديدة في الشعر العربي النيجيري: عرض ودراسة لشعر السيد آدم عثمان، رسالة الماجستير المخطوطة، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كَانُوا

الجمحي، محمد بن سلام، (١٩٨٠م)، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت

الرافعي، مصطفى صادق، (٢٠٠٧م)، تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية، بيروت

زَارِيَا، غَرْبَ طَنْ ظُوهُو، (٢٠٠٤م)، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية، مطبعة غَسْكَيَا، زَارِيَا

سليمان، فتح الله أحمد، (٢٠٠٨م)، الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار الآفاق العربية، القاهرة

صالح، أحمد محمد، (٢٠٠٢م)، فن المديح عند البحري والمنتبي: دراسة أدبية مقارنة، رسالة الماجستير المخطوطة، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كَانُوا

عثمان، آدم (د. ت)، مجموعة القصائد، مخطوط

محمد، عبد الصمد عبد الله، (٢٠٠١م)، أضواء على الشعر في غربي أفريقيا، مكتبة وهبة، القاهرة

القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق

الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت

المنصور، عثمان محمد، (٢٠٠٨م)، المحامي آدم عثمان: شاعريته وقصائده في

مناهضات ضد الإسلام، رسالة الماجستير المخطوطة، قسم دراسة الديانات، جامعة

جُوس